

كتاب

شيخ الإسلام ابن تيمية

إلى سُرجوان ملك النصارى

الشهيرة بـ «الرسالة القبرصية»

اعتنى بنشرها والتعليق عليها
الشيخ الدكتور
أبو عبد الرحمن عبد المجيد جمعة
الأستاذ بجامعة الإسلامية قسنطينة

مكتبة الحافظ الذهبي
دار نور الكتاب



كتاب

شيخ الإسلام ابن تيمية

إلى سرجوان ملك النصارى

الطبعة الأولى
(1429هـ - 2008م)

مكتبة الحافظ الذهبي
باب الوادي - الجزائر
هاتف وفاكس: 75 19 96 (021)

توزيع:
دار نور الكتاب
79 تعاونية النصر حي البساتين قاريدي
القبة - الجزائر
الهاتف: (021) 56 26 84
الموقع على الأنترنت: www.nourelkitab.com

كتاب

شيخ الإسلام ابن تيمية

إلى سرجوان ملك النصارى

الشهيرة بـ «الرسالة القبرصية»

اعتنى بنشرها والتعليق عليها

الشيخ الدكتور



أبو عبد الرحمن عبد المجيد جمعة

الأستاذ بالجامعة الإسلامية قسنطينة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أمَّا بعد، فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى محمَّد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

فهذا كتاب جليل، وخطاب جزيل، بعث به شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى «سرجوان» ملك قبرص، عظيم النَّصارى ، يدعوه فيه إلى فكِّ أسرى المسلمين في سجونه، ومعاملتهم بالحسنى، وتحذيره من إلحاق بهم الأذى، وقد تميَّز هذا الخطاب بالجرأة والصَّدع بالحقِّ، والاعتزاز بالإسلام،

وبيان محاسنه وسماحته، وكشف ما عليه المسلمون من الهدى والاستقامة؛ وما عليه أهل الكتاب من الغلوِّ والضَّلال، والاختلاف في دينهم، والتَّناقض في نبيِّهم.

وقد سبق نشر هذه الرِّسالة ضمن «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٨/ ٦٠١ ـ ٦٣٠)، واستلَّها منه بعض الباحثين وقام بنشرها، كما نشرتها «مكتبة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة» بمصر، الطَّبعة الثَّانية: (١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م)، وقد أعادت طبعها «دار ابن حزم»، الطَّبعة الثَّانية: (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، باعتناء علاء دمج؛ وليس هناك فرق بين النُّسختين إلَّا النَّزر اليسير.

وقد اعتمدت على نسخة خطِّيَّة، مصدرها: «مكتبة عبد الله بن عبيد بن ظاعن بن هويدي الفلاسي»، رقم التَّصنيف:

(١٢/ ١)؛ وهي ضمن [مجموع (٨ ـ ٢٣) ق١٦]، وقد وقع خلل في ترتيب ورقة (٨)، حيث كتبت ضمن رسالة أخرى لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد نبَّهت على ذلك في موضعه؛ وقد وقفت عليها ضمن مجموعة من المخطوطات أهدانيها أخي الفاضل الشَّيخ الدُّكتور رضا بوشامة الجزائري ـ سلَّمه الله ـ فجزاه الله خيرًا.

وبعد المقابلة بينها وبين النُّسختين، تبيَّن لي وقوع سقط أو تصحيف في المطبوعة؛ ونظرًا لأهمِّيتها لا سيما في هذا العصر الَّذي تداعت الأمم على الإسلام، بتشويه سمعته، والسَّعي لإطفاء نوره، رأيت إعادة نشرها من جديد، تكون سالمة من العيوب، مع زيادات مهمَّة من نسخة الأصل.

هذا، وقد قمت بنسخها، واعتبرتها هي الأصل، وقابلتها بالنُّسخة المطبوعة ضمن «مجموع الفتاوى»، ورمزت لها بحرف:

«م»؛ ولمَّا كانت «نسخة أنصار السُّنَّة» لا تختلف عنها إلَّا قليلًا، كما سبق التَّنبيه عليه، أشرت إلى مواضع هذا الاختلاف، ورمزت لها بحرف: «ب»، وما تركته فهو موافق لـ«م»؛ فصحَّحت ما تصحَّف، واستدركت ما سقط، وجعلته بين معقوفتين [ ]، ونبَّهت على ذلك في الحاشية، إلَّا كلمة: «تعالى» و«عليه السَّلام»، فقد تكرَّر سقطهما في الأصل، وأحيانا في النُّسختين، فجعلتها بين معقوفتين، منبِّهًا على الزِّيادة، مستغنيًا بذلك عن التَّنبيه عليه في الحاشية.

وقد عنونتها بـ: «كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سرجوان ملك النَّصارى»، كما جاء في المخطوط: «نسخة كتاب كتبه الشَّيخ الإمام العالم الزَّاهد الوَرِع أبو العبَّاس أحمد بن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ إلى ملك النَّصارى»، وقال المصنِّف في هذه

الرِّسالة: «والذي أختم به الكتاب: الوصيَّة بالشَّيخ أبي العبَّاس، وبغيره من الأسرى...؛ ولمَّا اشتهرت هذه الرِّسالة بـ «الرِّسالة القبرصيَّة» أضفت ذلك في العنوان.

وفي الختام، أسأل الله العظيم أن يجعل عملي هذا لوجهه الكريم، ولا يجعله لأحد من خلقه أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين.

وكتب

أبو عبد الرَّحمن عبد المجيد

جمعة صباح يوم الثلاثاء

١٤ من شهر الله محرَّم سنة ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب
من احمد بن تيمية الى سرجوان عظيم اهل ملته ومن تحوط به عنايته
من رؤسا الدين وعظما الدنيا من القسيسين والرهبان والامرا
والكتاب واتباعهم سلام على من اتبع الهدى فانا نحمد الله الذي
لا اله الا هو اله ابرهيم وال عمران ونساله ان يصلي على عباده المصطفين
وانبيايه المرسلين ويخص بصلاته وسلامه اولي العزم الذين هم
سادة الخلق وقادة الامم الذين خصوا باخذ الميثاق وهم نوح
وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم ومحمد كما سماهم الله تعالى في كتابه
فقال عز وجل شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا
اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشا
ويهدي اليه من ينيب وقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم
ميثاقا غليظا ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا
اليما ونساله ان يخص بشرايف صلواته وسلامه خاتم المرسلين

الورقة الأخيرة من المخطوط

في القصص قصص الانبياء من عده طرق وقد بسطت الكلام على اقوال
هذه المسالة في غير هذا واول من وضع هذه الاحاديث في السفر
لزيارة المشاهد التي على القبور هم اهل البدع من الرافضه وغيرهم
الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها
ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطان فان الكتاب
والسنة انما فيه ذكر المساجد دون المشاهد كما قال تعالى قل امر ربي
بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين
وقال تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال
تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال تعالى ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد وقال تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد
الله ان يذكر فيها اسمه وقد ثبت في الصحيح انه كان يقول ان من
كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد
فاني انهاكم عن ذلك والله اعلم بلغ مقابلة بالاصل الذي كتبه الحسين العالم

نسخه كتاب كتبه الشيخ الامام العالم الزاهد الورع ابو
العباس احمد بن تيمية رحمة الله عليه الى ملك النصارى

النص المحقَّق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكَّلت، وإليه أنيب][1]

من أحمد بن تيمية إلى سرجوان[2] عظيم أهل ملَّته، ومَنْ تحوط به عنايته، من رؤساء الدِّين، وعظماء [الدُّنيا من][3] القسِّيسين والرُّهبان والأمراء والكتَّاب وأتباعهم.

سلام على من اتَّبع الهدى.

---

(١) ساقطة من «م».

(٢) في «ب»: سرجواس.

(٣) ساقطة من «م».

[أمَّا بعد][1]، فإنَّا نحمد [إليكم][2] الله الَّذي لا إله إلَّا هو، إله إبراهيم وآل عمران، ونسأله أن يصلِّي على عباده المصطفَيْن، وأنبيائه المرسلين، ويخصَّ بصلاته وسلامه أولي العزم، الَّذين هم سادة الخلق، وقادة الأمم، الَّذين خُصُّوا بأخذ الميثاق، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى [ابن مريم][3] ومحمَّد، كما سمَّاهم الله تعالى في كتابه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) ساقطة من «الأصل».

(٣) ساقطة من «م».

وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب: ٧ ـ ٨].

ونسأله أن يخصَّ بشرائف صلاته وسلامه خاتمَ المرسلين، وخطيبَهم إذا وفدوا على ربِّهم، وإمامهم إذا اجتمعوا، شفيعَ الخلائق يوم القيامة، نبيَّ الرَّحمة، ونبيَّ الملحمة[1]، الجامع

---

(١) هذا الاسم ثابت للنَّبيِّ ﷺ، فعن أبي موسى قال: «سمَّى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء، منها ما حفظناها، ومنها ما لم نحفظ؛ فقال: «**أَنَا مُحَمَّد وَأَنَا أَحْمَد وَالْمُقَفَّى وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ**» أخرجه أحمد (١٩/ ١٨٠؛ ٢٠٥؛ ٢١٣) وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢١) والبزَّار (٣٠٢٢؛ ٣٠٢٣) وابن حبَّان (٦٣١٤)، وصحَّحه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (١٤٧٣)؛ وله شاهد عن حذيفة؛ أخرجه التِّرمذي في «الشَّمائل» (٣٦٨) وأحمد (٢٤/ ١٥٨) والبزَّار (٢٩١٢)، وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزَّوائد» (٨/ ٢٨٤): رواه أحمد والبزَّار، ورجال أحمد رجال الصَّحيح، غير عاصم بن بهدلة، وهو ثقة، وفيه سوء حفظ؛ وحسَّنه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «مختصر الشَّمائل» (٣١٦) وفي «صحيح موارد الظَّمآن» (١٧٥٧). =

لمحاسن[1] الأنبياء، الَّذي بشَّر به عبدُ الله وروحُه، وكلمتُه[2] الَّتي ألقاها إلى الصدِّيقة الطَّاهرة البتول، الَّتي لم يمسَّها بشر قطّ، مريم ابنة عمران، ذلك مسيح الهدى، عيسى ابن مريم، الوجيه

= و«الملحمة»: قال ابن الأثير في «النِّهاية» (٤/ ٢٣٩): «هي الحرب وموضع القتال، والجمع الملاحم، مأخوذ من اشتباك النَّاس واختلاطهم فيها، كاشتباك لُحمة الثَّوب بالسدي، ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام، «نبيّ الملحمة» يعني نبيُّ القتال، وهو كقوله الآخر: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ**»».

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد» (١/ ٩٥): «وأمَّا نبيُّ الملحمة، فهو الَّذي بعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبيٌّ وأمَّته قطّ ما جاهد رسول الله ﷺ وأمُّته، والملاحم الكبار الَّتي وقعت وتقع بين أمَّته وبين الكفَّار لم يعهد مثلها قبله، فإنَّ أمَّته يقتلون الكفَّار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمَّة سواهم».

(١) في «م»: محاسن.

(٢) في «الأصل»: كلمته وروحه، وما ورد في «م» أنسب.

في الدُّنيا والآخرة، المقرَّب عند الله، المبعوث بنعت[1] الجمال والرَّحمة، لَمَّا انحرف[2] بنو إسرائيل فيما بعث به موسى من نعت الجلال[3] والشِّدَّة، وبعث الخاتم الجامع بنعت الكمال، المشتمل على الشِّدَّة على الكفَّار، والرَّحمة بالمؤمنين، والمحتوي على محاسن الشَّرائع والمناهج الَّتي كانت قبله، صلَّى الله عليهم وسلَّم[4] أجمعين، وعلى من تبعهم إلى يوم القيامة.

أمَّا بعد: فإنَّ الله خلق الخلائق بقدرته، وأظهر فيهم آثار مشيئته وحكمته ورحمته، وجعل المقصود الَّذي له خلقوا[5] فيما

---

(١) في «ب»: المنعوث بنعت؛ وفي «م»: المنعوث بعوت، ولعلها سقط حرف النُّون.

(٢) في «م»: انجر، وفي «ب»: اتجر.

(٣) في «الأصل»: الجمال.

(٤) في «الأصل»: صلَّى الله عليه وسلَّم وعليهم.

(٥) في «م»: خلقوا له.

أمرهم به هو عبادته؛ وأصل ذلك [هو][1] معرفته ومحبَّته؛ فمن هداه الله صراطه المستقيم آتاه رحمة وعلمًا، فعرف ربَّه[2] بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، ورزقه الإنابة إليه، والوجل لذكره، والخشوع له، والتَّألُّه له، فحنَّ إليه حنين النُّسور إلى أوكارها، وكَلِفَ بحبِّه كَلَفَ[3] الصَّبيِّ بأمِّه، لا يعبد إلَّا إيَّاه، رغبةً ورهبةً ومحبَّةً، [و][4] أخلص دينه لِمَنِ الدُّنيا والآخرة له، ربِّ الأوَّلين والآخرين، مالك يوم الدِّين، خالق ما تبصرون وما لا تبصرون، عالم الغيب والشَّهادة، الَّذي أمره إذا أراد شيئًا أن

---

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) في «م»: ومعرفة.

(٣) وكذا في «ب» وفي «م»: تكلف، وكَلِفَ بالشَّيء كَلَفًا وكُلْفَةً فهو كَلِفٌ ومُكلَّف: لهج به، وكلِف بها أشدّ الكلف أي أحبّها. انظر: «لسان العرب» (مادة: كلف).

(٤) زيادة من «م».

يقول له: كنْ فيكون، لم يتَّخذ[1] من دونه أندادًا، كالَّذين اتَّخذوا من دون الله أندادًا، يحبُّونهم كحبِّ الله، والَّذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله، ولم يشرك بربِّه أحدًا، ولم يتَّخذ من دونه وليًّا ولا شفيعًا، [و][2] لا ملكًا[3]، ولا نبيًّا، ولا صديقًا؛ فإنَّ كلَّ من في السَّموات والأرض إلَّا آتي الرَّحمن عبدًا، لقد أحصاهم وعدَّهم عدًّا، وكلَّهم آتيه يوم القيامة فردًا؛ فهنالك اجتباه مولاه، واصطفاه، وآتاه رشده، وهداه لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنه؛ فإنَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وذلك أنَّ النَّاس كانوا بعد آدم [عليه السلام][4]، وقبل نوح

---

(١) في «الأصل»: نتَّخذ.

(٢) ساقطة من «م».

(٣) في «الأصل»: ولا ملك.

(٤) زيادة من «م».

[عليه السلام][1]، على التَّوحيد، وإخلاص الدِّين لله[2]، كما كان عليه [[أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام، حتَّى ابتدعوا الشِّرك وعبادة الأوثان ـ بدعة من تلقاء أنفسهم ـ لم ينزل الله بها كتابًا، ولا أرسل بها رسولًا، بشبهات زيَّنها الشَّيطان من جهة المقاييس الفاسدة، والفلسفة الحائدة، قوم منهم زعموا أنَّ التَّماثيل طلاسم الكواكب السَّماويَّة، والدَّرجات الفلكيَّة، والأرواح العلويَّة؛ وقوم اتَّخذوها على صورة من كان فيهم من الأنبياء والصَّالحين؛ وقوم جعلوها لأجل الأرواح السُّفليَّة من الجنِّ والشَّياطين؛ وقوم على مذاهب أخر.

وأكثرهم لرؤسائهم مقلِّدون، وعن سبيل الهدى ناكبون؛ فابتعث الله نبيَّه نوحًا عليه السلام، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا

---

(١) زيادة من «م».

(٢) في «م»: الإخلاص، دون قوله: الدِّين لله.

شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه؛ وإن زعموا أنَّهم يعبدونهم ليتقرَّبوا بهم إلى الله زلفى، ويتَّخذوهم شفعاء، فمكث فيهم ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، فلمَّا أعلمه الله أنَّه لن يؤمن من قومك إلَّا من قد آمن، دعا عليهم، فأغرق الله تعالى أهل الأرض بدعوته، وجاءت الرُّسل بعده تترى، إلى أنْ عمَّ الأرض دين الصَّابئة والمشركين، لما كانت النَّماردة والفراعنة ملوك الأرض شرقًا وغربًا، فبعث الله تعالى إمام الحنفاء، وأساس الملَّة الخالصة، والكلمة الباقية: إبراهيم خليل الرَّحمن، فدعا الخلق من الشِّرك إلى الإخلاص، ونهاهم عن عبادة الكواكب والأصنام، وقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾، وقال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٨٢]، وقال إبراهيم عليه السلام ومن معه لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

فجعل الله الأنبياء والمرسلين من أهل بيته، وجعل لكلٍّ منهم خصائص، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وآتى كلًّا منهم من الآيات ما آمن على مثله البشر؛ فجعل لموسى العصا حيَّةً حتَّى ابتلعت ما صنعت السَّحرة الفلاسفة من الحبال والعصيِّ، وكانت شيئًا كثيرًا، وفلق له البحر حتَّى صار يابسًا، والماء واقفًا حاجزًا بين اثني عشر طريقًا، على عدد الأسباط، وأرسل معه القمَّل والضَّفادع والدَّم، وظلَّل عليه وعلى قومه الغمام الأبيض، يسير معهم، وأنزل عليهم صبيحة كلِّ يوم المنَّ

والسَّلوى، وإذا عطشوا، ضرب موسى بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، قد علم كلُّ أُناسٍ مشربهم.

وبعث بعده أنبياء من بني إسرائيل: منهم من أحيا الله على يده الموتى، ومنهم من شفى الله على يده المرضى، ومنهم من أطلعه على ما شاء من غيبه، ومنهم من سخَّر له المخلوقات، ومنهم من بعثه بأنواع المعجزات.

وهذا ممَّا اتَّفق عليه جميع أهل الملل، وفي الكتب الَّتي بأيدي اليهود والنَّصارى، والنُّبوَّات الَّتي عندهم، وأخبار الأنبياء عليهم السلام مثل أَشِعْيَاء وأرْمِياء ودانيال وحَبْقُوق[1] وداود وسليمان وغيرهم، وكتاب «سفر الملوك»[2] وغيره من الكتب ـ ما فيه معتبر.

---

(١) هذه أسماء أنبياء بني إسرائيل.

(٢) هو من كتب بني إسرائيل، فيه أخبار ملك داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما. انظر: «كشف الظُّنون» (١/ ٥٠٥ و٢/ ٩٩١).

وكانت بنو إسرائيل أمَّة قاسية عاصية: تارة يعبدون الأصنام والأوثان، وتارة يعبدون الله، وتارة يقتلون النَّبيِّين بغير الحقِّ، وتارة يستحلُّون محارم الله بأدنى الحيل، فلُعنوا أوَّلًا على لسان داود؛ وكان من خراب بيت المقدس ما هو معروف عند أهل الملل كلِّهم.

ثمَّ بعث اللهُ المسيحَ ابنَ مريم رسولًا][1] قد خلت من قبله الرُّسل، وجعله وأمَّه آية للنَّاس؛ حيث خلقه من غير أب إظهارًا لكمال قدرته، وشمول كلمته[2]، حيث قسَّم النَّوع الإنسانيّ الأقسام الأربعة: فخَلَقَ[3] آدم من غير ذَكَرٍ ولا أنثى،

---

(١) هذه الصَّفحة كلُّها ساقطة من النُّسخة المصوَّرة، ولهذا تعذَّر عليَّ مقابلتها، وإذا ما وقفت عليها ـ إن شاء الله ـ، فإنِّي أستدركها في طبعة لاحقة.

(٢) في «الأصل»: كلمه.

(٣) في «م»: فجعل.

وخلق زوجه[1] حوَّاء من ذكر بلا أنثى، وخلق المسيح ابن مريم من أنثى بلا ذكر، وخلق سائرهم من الزَّوجين: الذَّكر والأنثى، وآتى عبده المسيح من الآيات البيِّنات ما جرت به سنَّته، فأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وأنبأ النَّاس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم، ودعا إلى الله، وإلى عبادته، متَّبعًا سنَّةَ إخوانه المرسلين، مصدِّقًا لمن قبله[2]، ومبشِّرًا بمن يأتي بعده.

وكان بنو إسرائيل قد عتَوْا، وتمرَّدوا، فكان[3] غالب أمره اللِّين والرَّحمة والعفو والصَّفح، وجَعَل في قلوب الَّذين اتَّبعوه رأفة ورحمة [ورهبانيَّة ابتدعوها][4]، وجعل منهم قسِّيسين ورهبانًا،

---

(١) في «الأصل»: زوجته.

(٢) في «الأصل»: سبقه.

(٣) في «م»: وكان.

(٤) ساقطة من «م».

فتفرَّق النَّاس في المسيح، ومن اتَّبعه من الحواريِّين عليهم السلام[1] ثلاثة أحزاب: قوم كذَّبوه، وكفروا به، وزعموا أنَّه ابن بغيٍّ[2]، ورموا أمَّه بالفِرْية، ونسبوه إلى يوسف النجَّار[3]، وزعموا أنَّ شريعة التَّوراة لم ينسخ منها شيء، وأنَّ الله لم ينسخ ما][4] شرعه؛ [هذا][5] بعد ما فعلوه بالأنبياء، وما كان عليهم من الآصار في النَّجاسات والمطاعم.

---

(١) ساقطة من «م»، وذكر: عليه السَّلام بعد المسيح.

(٢) في «الأصل»: بغيّة؛ وهو خطأ؛ لأنَّه لا يقال للمرأة الفاجرة بغيَّة. انظر: «لسان العرب» (مادة: بغا).

(٣) يقال: هو رجل صالح من قرابتها، كان يخدم معها البيت المقدس. انظر: «تفسير الطَّبري» (١٨/ ١٦٩)، «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٢٢).

(٤) وقع خلط من النَّاسخ، فقد أدرج هذه الورقة في رسالة أخرى لشيخ الإسلام، قبل هذه الرِّسالة.

(٥) ساقطة من «م».

وقوم غلوا فيه، وزعموا أنَّه الله أو ابن الله، وأنَّ اللَّاهوت تدرَّع[1] النَّاسوت[2]، وأنَّ ربَّ العالمين نزل أو[3] أنزل ابنه ليُصلب ويُقتل فداءً لخطيئة آدم [عليه السلام]، وجعلوا الإلهَ الأحدَ الصَّمدَ الَّذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدٌ قد ولد، واتَّخذ ولدًا، وأنَّه إلهٌ[4] [حقٌّ][5] حيٌّ عليمٌ قديرٌ، جوهر واحد[6]، ثلاثة أقانيم[7]،

---

(١) في «الأصل»: يذرع.

(٢) النَّاسوت: الطَّبيعة البشريَّة، ويقابله اللَّاهوت بمعنى الألوهيَّة. انظر: «المعجم الوسيط» (٢/ ٧١١).

(٣) في «م»: و.

(٤) في «الأصل»: الإله.

(٥) ساقطة من «م».

(٦) في «الأصل»: صار جوهرًا ثلاثة جواهر.

(٧) «الأقانيم» مفرد الأقنوم: الجوهر والشَّخص والأصل، ويستعمل عند المسيحيِّين العرب للدّلالة على الثَّالوث الأقدس. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٤٦).

وأنَّ الواحد منها أقنوم الكلمة، وهي العلم، هي [الَّتي][1] تدرَّعت النَّاسوت البشري، مع العلم بأنَّ أحدها[2] لا يمكن انفصاله عن الآخرَيْن إلَّا إذا جعلوه[3] ثلاثة آلهة[4] متباينة[5]، وذلك ممَّا[6] لا يقولونه.

وتفرَّقوا في التَّثليث والاتِّحاد[7] تفرُّقًا، وتشتَّتوا تشتُّتًا، لا يقرُّ به عقلٌ[8]، ولم يَرِد به[9] نقل، إلَّا كلمات متشابهات في الإنجيل، وما

---

(١) سقطت من «م».

(٢) في «م»: أحدهما.

(٣) في «الأصل»: جعلوا.

(٤) في «م»: إلهات.

(٥) في «الأصل»: متباينين.

(٦) في «م»: ما.

(٧) في «الأصل»: الاتخاذ، بالخاء المعجمة.

(٨) في «م»: عاقل.

(٩) في «ب»: لم يجئ به؛ وفي «م»: يجيء، وسقطت: به.

قبله من الكتب، قد بيَّنتها كلمات محكمات في الإنجيل وما قبله، كلُّها [تنطق](1) بعبودية المسيح، وعبادته لله وحده، ودعائه وتضرُّعه.

ولمَّا كان أصل الدِّين هو الإيمان بالله وبرسله(2)، كما قال خاتم [النَّبيِّين و](3) المرسلين: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»(4)، وقال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(5)، كان [أهمّ](6) أمر الدِّين توحيد الله [تعالى](7)، والإقرار برسله.

---

(1) ساقطة من «الأصل».

(2) في «ب»: ورسله؛ وفي «م»: ورسوله.

(3) ساقطة من «الأصل».

(4) أخرجه البخاري (25) ومسلم (22) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(5) أخرجه البخاري (3261) وأحمد (1/ 57) عن عمر ؛، واللَّفظ لأحمد، وقال البخاري: «أنا عبده».

(6) ساقطة من «م».

(7) ساقطة من «م».

ولهذا كان الصَّابئون والمشركون ـ كالبراهمة[1] ونحوهم من منكري النُّبوَّات ـ مشركين بالله في إقرارهم وعبادتهم، وفاسدي الاعتقاد في رسله.

فأرباب التَّثليث في الوحدانيَّة والاتِّحاد في الرِّسالة قد دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بيِّن بفطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها، وبكتب الله الَّتي أنزلها.

---

(١) قال الشّهرستاني في «الملل والنِّحل» (٢/ ٢٤٩): «من النَّاس من يظنُّ أنَّهم سمُّوا: «براهمة»، لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام، وذلك خطأ، فإنَّ هؤلاء هم المخصوصون بنفي النُّبوَّات أصلًا ورأسًا، فكيف يقولون بإبراهيم عليه السلام؟ والقوم الَّذين اعتقدوا نبوَّة إبراهيم عليه السلام من أهل الهند فهم: الثنويَّة، منهم القائلون بالنُّور والظُّلمة على رأي أصحاب الاثنين، وهؤلاء «البراهمة» إنَّما انتسبوا إلى رجل منهم يقال له: براهم، وقد مهَّد لهم نفي النُّبوَّات أصلًا، وقرَّر استحالة ذلك في العقول».

[ولهذا][1] كان عامَّة رؤساء دينهم[2] ـ من القسِّيسين والرُّهبان، وما يدخل فيهم من البتاركة[3] والمطارنة والأساقفة ـ إذا صار الرَّجل منهم فاضلًا مميَّزًا فإنَّه ينحلُّ عن دينه، ويصير منافقًا لملوك أهل دينه وعامَّتهم، يرضى[4] بالرِّياسة عليهم، وبما يناله[5] من الحظوظ؛ كالَّذي كان لبيت[6] المقدس الَّذي يقال له: «ابن البوري»، والَّذي كان بدمشق، الَّذي[7] يقال له: «ابن القف»[8]،

---

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) في «م»: رؤسائهم.

(٣) في «م»: البطارقة.

(٤) في «م»: رضي.

(٥) في «الأصل»: ناله.

(٦) في «الأصل»: كان بيت، وسقطت: كالذي.

(٧) في «الأصل»: كان.

(٨) في «الأصل»: القف.

والَّذي بقسطنطينيَّة، وهو «البابا»[1] عندهم، وخلق كثير من كبار الباباوات[2] والمطارنة والأساقفة، لما خاطبهم قومٌ من الفضلاء، أقرُّوا لهم أنَّهم[3] ليسوا على [شيء من][4] عقيدة النَّصارى؛ وإنَّما بقاؤهم على ما هم عليه لأجل العادة والرِّياسة، كبقاء الملوك والأغنياء على ملكهم وغناهم؛ ولهذا تجد غالب فضلائهم إنَّما هِمَّةُ أحدِهم نوعٌ[5] من العلم الرِّياضي، كالمنطق و[6] الهيئة والحساب والنُّجوم؛ أو الطَّبيعي، كالطبِّ ومعرفة

---

(١) في «الأصل»: الباب.

(٢) في «الأصل»: الأبواب.

(٣) في «م»: بأنَّهم.

(٤) ساقطة من «م».

(٥) في «الأصل»: نوعًا.

(٦) في «الأصل»: أو.

الأركان؛ أو[1] التَّكلُّم في الإلهي على طريقة الصَّابئة الفلاسفة، الَّذين[2] بُعث إبراهيمُ الخليلُ إليهم[3] [عَلَيْهِ السَّلَامُ]، قد نبذوا دين المسيح والرُّسل [الَّذين][4] قبله وبعده وراء ظهورهم، وحفظوا رسوم الدِّين لأجل الملوك والعامَّة.

وأمَّا الرُّهبان فأحدثوا من أنواع الحيل والمكر[5] بالعامَّة ما يظهر لكلِّ عاقل؛ حتَّى صنَّف الفضلاء في حيل الرُّهبان كتبًا[6]: مثل النَّار الَّتي كانت تصنع بقمامة، يدهنون خيطًا دقيقًا

---

(١) في «الأصل»: و.

(٢) في «الأصل»: الذي.

(٣) في «م»: بعث إليهم ... بالتَّقديم والتَّأخير.

(٤) ساقطة من «الأصل».

(٥) في «م»: المكر والحيل.

(٦) انظر حيلًا أخرى لهم في «الجواب الصَّحيح» (٢/ ٣٣٨).

بسَنْدَرُوسٍ[1]، [و][2] يلقون النَّار فيه[3] بسرعة فتنزل[4]، فيعتقد الجهَّال أنَّها نزلت من السَّماء، ويأخذونها إلى البحر، وهي [من][5] صنعة ذلك الرَّاهب، يراه النَّاس عيانًا، وقد اعترف هو وغيره أنَّهم يصنعونها.

ولهذا[6] اتَّفق أهل الحقِّ من جميع الطَّوائف على أنَّه لا تجوز عبادة الله تعالى[7] بشيء ليس له حقيقة.

---

(١) هو صمغ شجر، من رتبة المخروطيَّات، يجلب من نواحي أرمينية، يتداوى به. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٤٤١).

(٢) زيادة من «م».

(٣) في «م»: عليه.

(٤) في «الأصل»: فينزل.

(٥) ساقطة من «م».

(٦) في «م»: وقد.

(٧) في «الأصل»: لا يجوز إضلال عباد الله، وسقط: تعالى.

وقد يظنُّ المنافقون أنَّ ما يُنقل عن المسيح وغيرِه [من الأنبياء][1] من المعجزات من جنس النَّار المصنوعة.

وكذلك [حيلُهم][2] في تعليق الصَّليب، وفي بكاء التَّماثيل الَّتي[3] يصوِّرونها على صورة المسيح وأمِّه وغيرهما[4] ونحو ذلك: كلّ ذلك، يعلم كلُّ عاقل أنَّه إفكٌ مفترى، وأنَّ جميع أنبياء الله وصالحي عباده بُرَآءُ من كلِّ زورٍ[5] وباطل وإفك، كبراءتهم[6] من سِحر سحرة فرعون.

---

(١) ساقطة من «م».

(٢) ساقطة من «الأصل».

(٣) في «الأصل»: الذين.

(٤) في «الأصل»: غيرها.

(٥) في «الأصل»: وزر.

(٦) في «الأصل»: وكبراءتهم؛ وفي «ب»: كبرائهم.

ثمَّ إنَّ هؤلاء عمدوا إلى الشَّريعة الَّتي يعبدون الله [بها][1]، فناقضوا الأوَّلين من اليهود [فيها][2]، مع أنَّهم مأمورون[3] بالتَّمسُّك بالتَّوراة، إلَّا ما نسخه المسيح، قصَّر هؤلاء[4] في الأنبياء حتَّى قتلوهم، وغلا هؤلاء [فيهم][5] حتَّى عبدوهم، وعبدوا تماثيلهم، وقال أولئك: إنَّ الله لا يصلح له أن يغيِّر ما أمر به فينسخه، لا في وقت آخر، ولا على لسان نبيٍّ آخر، وقال هؤلاء: بل الأحبار والقسِّيسون يغيِّرون ما شاءوا، ويحرِّمون ما رأوا، [ويبيحون ما رأوا][6]، ومن أذنب ذنبًا وظَّفوا[7] عليه ما

---

(١) ساقطة من «الأصل».
(٢) ساقطة من «الأصل».
(٣) في «م»: يأمرون.
(٤) في «الأصل»: أولاء.
(٥) ساقطة من «الأصل».
(٦) ساقطة من «م».
(٧) وكذا في «ب»؛ وفي «م»: وضعوا، ووظَّفوا من وظَفَ الشَّيءَ على نفسه، ووَظَّفَه توظِيفًا ألزمها إيَّاه. انظر: «لسان العرب» (مادة: وظف).

رأوا من العبادات، وغفروا له.

ومنهم من يزعم أنَّه ينفخ في المرأة من روح القدس، فيجعل البخور[1] قربانًا، وقال أولئك: حرم علينا أشياء كثيرة؛ وقال هؤلاء: ما بين البقة والفيل حلال، كُلْ ما شئت، ودَعْ ما شئت؛ وقال أولئك: النَّجاسات مغلَّظة، حتَّى إنَّ الحائض لا يقعد معها [في بيت][2]، ولا يؤكل معها؛ وهؤلاء يقولون: ما عليك شيء نجس، ولا يأمرون بختان، ولا غسل من جنابة، ولا إزالة نجاسة؛ مع أنَّ المسيح والحواريِّين كانوا على شريعة التَّوراة.

ثمَّ إنَّ الصَّلاة إلى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الحواريُّون، [و][3] إنَّما ابتدعها قسطنطين أو غيره[4]؛ وكذلك

---

(١) في «الأصل»: الفجور.

(٢) ساقطة من «م».

(٣) زيادة من «م».

(٤) في «الأصل»: أو نحوه.

الصَّليب إنَّما ابتدعه قسطنطين برأيه، وبمنام زعم أنَّه رآه، وأمَّا المسيح والحواريُّون فلم يأمروا بشيء من ذلك.

والدِّين الَّذي يَتقرَّب [العباد][1] به إلى الله [تعالى][2] لا بدَّ أن يكون الله أمر به، وشرعه على ألسنة[3] رسله وأنبيائه؛ وإلَّا فالبدع كلُّها ضلالة، وما عبدت الأوثان إلَّا بالبدع.

وكذلك [إدخال][4] الألحان في الصَّلوات، لم يأمر به[5] المسيح ولا الحواريُّون.

---

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) ساقطة من «م».

(٣) في «الأصل»: ألسن، وهو خطأ؛ لأنَّ الجمع فيمن ذكّر. انظر: «لسان العرب» (مادة: لسن).

(٤) ساقطة من «الأصل»، ورمز النَّاسخ لكتابتها في الهامش، والظَّاهر أنَّه تركها سهوًا.

(٥) في «ب»: بها.

وبالجملة، فعامَّة أنواع العبادات والأعياد الَّتي هُمْ عليها، لم ينزل الله بها[1] كتابًا، ولا بعث بها رسولًا؛ لكن فيهم رأفة ورحمة، وهذا من دين الله؛ بخلاف الأوَّلين، فإنَّ فيهم قسوة ومقتًا، وهذا ممَّا حرَّمه الله [تعالى][2].

لكنِ الأوَّلون، لهم تمييز وعقل مع العناد والكبر؛ والآخرون، فيهم ضلال عن الحقِّ، وجهل بطريق الله.

ثمَّ إنَّ هاتين الأمَّتين تفرَّقتا أحزابًا[3] كثيرة[4] في أصل دينهم، واعتقادهم في معبودهم ورسولهم؛ هذا يقول: إنَّ جوهر اللَّاهوت والنَّاسوت صارَا جوهرًا واحدًا، وطبيعة

---

(١) في «م»: بها الله.

(٢) زيادة من «م».

(٣) في «الأصل»: تفرقت أحزاب.

(٤) في «ب»: كثيرًا.

واحدة، [و][1] أقنومًا واحدًا، وهم اليعقوبيَّة[2].

وهذا يقول: بل هما جوهران، وطبيعتان، وأقنومان؛ وهم النّسطوريَّة[3].

وهذا يقول بالاتِّحاد من وجه دون وجه، وهم الملكانيَّة[4].

وقد آمن جماعات من علماء أهل الكتاب قديمًا وحديثًا، وهاجروا إلى الله ورسوله، ووصفوا ما[5] في كتب الله من

---

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) هم أصحاب يعقوب. انظر: «الملل والنِّحل» (١/ ٢٢٣).

(٣) وهم أصحاب نسطور الحكيم، الَّذي ظهر في زمان المأمون، وتصرَّف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشَّريعة. انظر: «الملل والنِّحل» (١/ ٢٢٣).

(٤) في «الأصل»: الملكاية، والملكانيَّة هم أصحاب ملكًا، الَّذي ظهر بأرض الرُّوم، واستولى عليها، ومعظم الرُّوم ملكانيَّة. انظر: «الملل والنِّحل» (١/ ٢٢١).

(٥) في «م»: وصنفوا.

دلالات نبوَّة النَّبيِّ خاتم المرسلين، [وما ذكرته الأنبياء في نبوَّاتهم من علامة، كما وصفه إشعياء وآرمياء ودنيال][1]، وفي التَّوراة والزَّبور والإنجيل مواضع لمنْ يتدبَّرها[2]؛ وكذلك الحواريُّون.

فلما اختلفت[3] الأحزاب من بينهم هدى الله الَّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه، فبعث [الله][4] النَّبيَّ الَّذي بشَّر به المسيحُ ومنْ قبله من الأنبياء، داعيًا إلى ملَّة إبراهيم، ودين المرسلين قبله[5]، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص

---

(١) ساقطة من «م».

(٢) في «م»: وما في التوراة والزبور والإنجيل من مواضع لم يدبروها.

(٣) في «م»: اختلف.

(٤) ساقطة من «م».

(٥) في «م» و«ب»: زيادة: وبعده، وهي خطأ.

الدِّين كلِّه لله، وطهَّر الأرض من عبادة الأوثان، ونزَّه الدِّين عن الشِّرك: دقِّه وجلِّه، بعد ما كانت الأصنام تُعبد في أرض الشَّام وغيرها في دولة بني إسرائيل، ودولة الَّذين قالوا: إنَّا نصارى، وأَمَرَ بالإيمان بجميع كتب الله المنزَّلة كالتَّوراة والإنجيل والزَّبور والفرقان، بجميع أنبياء الله من آدم إلى محمَّد، قال[1] الله تعالى [في تنزيله][2]: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ

---

(١) في «الأصل»: وقال.

(٢) ساقطة من «م».

فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٥ ـ ١٣٨].

وأمر الله ذلك الرَّسول بدعوة الخلق إلى توحيده بالعدل، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]،[1]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟

---

(١) في «م» زيادة في هذا الموضع: وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ولا معنى لوجودها هنا، والظَّاهر أنَّه سبق قلم من النَّاسخ.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

[آل عمران: ٧٩ _ ٨٠].

وأمَرَهُ أن تكون[1] صلاته وحجَّه إلى بيت الله [الحرام][2]، الَّذي بناه خليله إبراهيم أبو الأنبياء وإمام الحنفاء، وجعل أمَّته وسطًا [معتدلين، لا ينحرفون إلى الأطراف][3]، فلم يغلوا في الأنبياء [والصدِّيقين][4] غلوَّ[5] من عدلهم بالله، وجعل فيهم شيئًا من الإلهية، وعبدهم وجعلهم شفعاء؛ ولم يجفوا جفاءَ من آذاهم، واستخفَّ بحرماتهم، وأعرض عن طاعتهم، بل عزَّروا

---

(١) في «الأصل»: يكون.

(٢) ساقطة من «الأصل».

(٣) ساقطة من «م».

(٤) ساقطة من «م».

(٥) في «م»: كغلو.

الأنبياء ـ أي عظَّموهم ونصروهم ـ وآمنوا بما جاءوا به، واتَّبعوهم وأطاعوهم[1]، وائتمُّوا بهم، وأحبُّوهم، وأجلُّوهم، ولم يعبدوا إلَّا الله، فلم يتَّكلوا إلَّا عليه، ولم يستعينوا[2] إلَّا به، مخلصين له الدِّين حنفاء.

وكذلك في الشَّرائع [كلِّها][3]، قالوا: ما أمرنا الله به أطعناه، وما نهانا عنه انتهينا، وإذا نهانا عمَّا كان أحلَّه ـ كما نهى بني إسرائيل عمَّا كان أباحه ليعقوب[4] ـ أو[5] أباح لنا ما كان

---

(١) في «م»: وأطاعوهم واتبعوهم، بالتَّقديم والتَّأخير.

(٢) في الأصل: ولا يتوكّلوا إلَّا عليه، ولا يستغيثوا.

(٣) ساقطة من «م».

(٤) وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣].

(٥) في «الأصل»: و.

حرامًا ـ كما أباح المسيحُ بعضَ الَّذي حرَّم الله على بني إسرائيل ـ سمعنا وأطعنا.

وأمَّا غير[1] رسل الله وأنبيائه فليس لهم أن يبدِّلوا دينَ الله، ولا يبتدعوا في الدِّين ما لم يأذن به الله.

والرُّسل إنَّما قالوا[2] تبليغًا عن الله؛ [فإنّه][3] سبحانه له الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيرَه[4]، لا يأمر غيرَه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

وتوسَّطت هذه الأمَّة في الطَّهارة والنَّجاسة، وفي الحلال

---

(١) في «الأصل»: عن.

(٢) في «الأصل»: قالوه.

(٣) ساقطة من «الأصل».

(٤) في «الأصل»: محيّره.

والحرام، وفي الأخلاق[1]، فلم[2] يجرِّدوا الشِّدَّة كما فعله الأوَّلون، ولم يجرِّدوا الرَّأفة كما فعله الآخرون، بل عاملوا أعداء الله بالشِّدَّة، وعاملوا أولياء الله بالرَّأفة والرَّحمة، وقالوا في المسيح ما قاله [الله [سبحانه وتعالى][3] وأنبياؤه]، وما قاله المسيح والحواريُّون؛ لا ما ابتدعه الغالون والجافون.

وقد أخبر الحواريُّون عن خاتم المرسلين، أنَّه يُبعث من أرض اليمن، وأنَّه يبعث بقضيب الأدب ـ وهو السَّيف ـ؛ وأخبر المسيح، أنَّه يجيء بالبيِّنات[4] والتَّأويل، وأنَّ المسيح جاء بالأمثال؛ وهذا باب يطول شرحه.

---

(١) في «الأصل»: الخلق، وصوّب في الهامش.

(٢) في «م»: ولم.

(٣) زيادة من «م»، وسقطت: الله وأنبياؤه.

(٤) في «الأصل»: بالبيان.

وإنَّما نبَّه[1] الدَّاعي لعظيم ملَّته وأهله، لمَّا بلغني ما عنده من الدِّيانة والفضل، ومحبَّة العلم، وطلب المذاكرة.

ورأيت الشَّيخ أبا العبَّاس المقدسي[2] شاكرًا من الملك، مِنْ[3] رفقه ولطفه وإقباله عليه، وشاكرًا من القسِّيسين ونحوهم.

ونحن قوم، نحبُّ الخير لكلِّ أحد، ونحبُّ أن يجمع اللهُ[4] لكم خيرَ الدُّنيا والآخرة؛ فإنَّ أعظم ما عُبِدَ اللهُ به نصيحةُ

---

(١) في «الأصل»: نيه ـ بالياء المثنَّاة التَّحتيَّة ـ.

(٢) في «الأصل»: العدسي؛ وأبو العبَّاس هذا، كان أسيرًا عند النَّصارى بقبرص، وفكَّ أسره، وقد بعثه شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ بهذا الكتاب إلى ملك قبرص، وقد قال فيه ـ كما سيأتي ـ: «وهذا أبو العبَّاس، مع أنَّه من عُبَّاد المسلمين، وله عبادة وفقر، وفيه مشيخة، ومع هذا، فما كاد يحصل له فداؤه إلَّا بالشِّدَّة».

(٣) في «الأصل»: ومن.

(٤) في «الأصل»: أنَّ الله يجمع.

خلقِه، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين، ولا نصيحة أعظم من النَّصيحة فيما بين العبد وبين ربِّه؛ فإنَّه لا بدَّ للعبد من لقاء الله، ولا بدَّ أنَّ الله يحاسب عبده، كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

وأمَّا الدُّنيا فأمرها حقير، وكبيرها صغير، وغاية أمرها يعود إلى الرِّياسة والمال، وغاية ذي الرِّياسة[1] أن يكون كفرعون الَّذي أغرقه الله في اليمِّ انتقامًا منه؛ وغاية ذي المال أن يكون كقارون الَّذي خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل[2] فيها إلى يوم القيامة، لَمَّا آذى نبيَّ الله موسى.

---

(١) في «الأصل»: الرَّئيس.

(٢) في «الأصل»: يتججل، ويتجلجل: أي يَغُوص في الأرض حين يُخْسَفُ به؛ والجَلْجَلَة: حَركة مع صَوْت. انظر: «النِّهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٨٤).

وهذه وصايا المسيح، ومن قبله و[من][1] بعده من المرسلين، كلُّها تأمر بعبادة الله، والتَّجرُّد للدَّار الآخرة، والإعراض عن زهرة الحياة الدُّنيا؛ فلمَّا[2] كان أمر الدُّنيا خَسيسًا رأيت أنَّ أعظم ما يُهدى لعظيم قومه المناصحة[3] في العلم والدِّين، والمذاكرة[4] فيما يقرِّب إلى الله، والكلام في الفروع مبنيٌّ على الأصول.

وأنتم تعلمون أنَّ دين الله لا يكون بهوى النَّفس[5]، ولا بعادات الآباء وأهل المدنيَّة، وإنَّما ينظر العاقل فيما جاءت به الرُّسل،

---

(١) زيادة من «م».

(٢) في «م»: ولما.

(٣) في «م»: المفاتحة.

(٤) في «م»: بالمذاكرة.

(٥) في هامش «الأصل»: الأنفس.

ويميّز ما[1] اتَّفق النَّاس عليه وما اختلفوا فيه، ويعامل الله [تعالى] فيما بينه وبينه[2] بالاعتقاد الصَّحيح والعمل الصَّالح، وإنْ كان لا يمكن الإنسان أن يظهر كلَّ ما في نفسه لكلِّ أحد، فينتفع هو بذلك القدر؛ [﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾][3].

وإنْ رأيتُ من الملك رغبةً في العلم والخير كاتبته، وجاوبته عن مسائل يسألها، وقد كان[4] خطر لي أن أجيء إلى قبرص لمصالح في الدِّين والدُّنيا، لكن إذا رأيت من الملك ما فيه رضى الله ورسوله عاملته بما يقتضيه علمه[5]؛ فإنَّ الملك وقومه

---

(١) في «م»: وفيما، وسقطت: يميز.

(٢) في «م»: بينه وبين الله تعالى، وسقطت: فيما.

(٣) ساقطة من «م».

(٤) في «الأصل»: كنت.

(٥) في «م»: عمله.

يعلمون أنَّ الله قد أظهر من معجزات رسله عامَّة، ومحمَّد خاصة، ما أيَّد به دينه، وأذلَّ [به][1] الكفَّار والمنافقين.

ولمَّا قدم مُقدّم المغول غازان وأتباعه إلى دمشق، وكان قد انتسب إلى الإسلام، لكن لم يرض الله ورسوله والمؤمنون بما فعلوه، حيث لم يلتزموا دين الله، وقد اجتمعتُ به وبأمرائه، وجرى لنا[2] معهم فصول، يطول شرحها، لا بدَّ أن تكون قد بلغت الملك، فأذلَّه الله وجنوده لنا، حتَّى بقينا نضربهم بأيدينا[3]، ونصرخ فيهم بأصواتنا؛ وكان معهم صاحب «سِيسَ»[4]، مثل

(١) ساقطة من «م».

(٢) في «م»: لي.

(٣) في «الأصل»: بأدينا، سقط حرف الياء.

(٤) قال في «معجم البلدان» (٣/ ٢٩٧): «سيسية: وعامة أهلها يقولون: سيس؛ بلد هو اليوم أعظم مدن الثُّغور الشَّاميَّة بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة».

أصغر غلام يكون، حتَّى كان بعض المؤذِّنين الَّذين معنا، يصرخ فيه[1]، ويشتمه، وهو لا يجترِئ[2] أن يجاوبه، حتَّى[3] إنَّ وزراء غازان ذكروا لي ما همْ[4] عليه من فساد النِّيَّة له، وكنت حاضرًا [معهم][5] لَمَّا جاءت رسلكم إلى ناحية السَّاحل، وأخبرني[6] التَّتار بالأمر الَّذي أراد صاحب «سيس» أن يدخل بينكم وبينه فيه، حيث منَّاكم بالغرور، وكان التَّتار من أعظم النَّاس شتيمة[7] لصاحب «سيس»، وإهانة له؛ ومع هذا، فإنَّا كنَّا نعامل أهل

---

(١) في «م»: عليه.

(٢) في «الأصل»: لا يستجرئ.

(٣) في «الأصل»: وحتى.

(٤) في «م»: ذكروا ما ينم.

(٥) ساقطة من «م».

(٦) في «الأصل»: وأخبروني، وهي على لغة: أكلوني البراغيث.

(٧) في «الأصل»: أعظم شتيمة.

ملَّتكم بالإحسان إليهم، والذَّبِّ عنهم.

وقد عَرف النَّصارى كلُّهم أنِّي لَمَّا خاطبت[1] التَّتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان وقطلوشاه، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين، قال لي: لكن معنا نصارى، أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا[2] يُطلقون، فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنَّصارى الَّذين هم أهل ذمَّتنا، فإنَّا نفتكُّهم[3]، ولا ندع أسيرًا: لا من أهل الملَّة ولا من أهل الذِّمَّة؛ وأطلقنا من النَّصارى مَنْ شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا [إليهم][4]، والجزاء على الله.

---

(١) في «الأصل»: أخاطب؛ وسقطت: لَمَّا.

(٢) في «الأصل»: ما.

(٣) في «ب»: نفكُّهم، ونفتكُّهم من افتكَّه: بمعنى خلَّصه. انظر: «لسان العرب» (مادة: فكك).

(٤) ساقطة من «م».

وكذلك السَّبي الَّذي بأيدينا من النَّصارى، يعلم كلُّ أحد إحسانَنا[1] ورحمتنا ورأفتنا بهم، كما وصَّانا[2] خاتم المرسلين حيث قال في آخر حياته: «**الصَّلَاةَ [الصَّلَاةَ]**[3] **وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[4]، قال الله تعالى في كتابه: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨**﴾ [الإنسان: ٨].

---

(١) في «الأصل»: بإحساننا.

(٢) في «م»: أوصانا.

(٣) ساقطة من «م»، وهي رواية النَّسائي في «الكبرى» (٧١٠٠) وابن ماجه (١٦٢٥).

(٤) أخرجه أحمد (٢٧/ ١٢٢؛ ١٧١؛ ١٧٩؛ ١٩١) عن أمِّ سلمة قالت: «كان من آخر وصيَّة رسول الله ﷺ»، وذكرته، وتمامه: «حتَّى جعل نبي الله ﷺ يجلجلها في صدره، وما يفيض بها لسانه»؛ وصحَّحه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الإرواء» (٧/ ٢٣٨)، وله شاهد عن علي وأنس. انظر المرجع السَّابق (٢١٧٨).

ومع خضوع التَّتار لهذه الملَّة، وانتسابهم إلى هذه الأمَّة(١)، فلم نخادعهم ولم ننافقهم، بل بيَّنَا لهم ما هم عليه من الفساد، والخروج عن الإسلام الموجب لجهادهم، وأنَّ جنود الله المؤيَّدة، وعساكره المنصورة المستقرَّة بالدِّيار الشَّامية والمصرية ما زالت منصورة على مَنْ نَاوأها، مظفرة على من عاداها.

وفي هذه المدَّة(٢) لما شاع عند العامَّة أنَّ التَّتار مسلمون، أمسك [أكثر](٣) العسكر عن قتالهم، [ولم يقاتلهم إلَّا طائفة قليلة](٤)، فقتلَتْ(٥) منهم بضعةَ عشر ألفًا، ولم يقتل من [جميع](١)

(١) في «م»: الملّة.

(٢) في «الأصل»: وإن هذه المرة.

(٣) ساقطة من «م».

(٤) ساقطة من «م».

(٥) في «م» و«ب»: فقُتِلَ.

المسلمين مائتان، فلمَّا انصرف العسكر إلى مصر، وبلغه ما عليه هذه الطَّائفة الملعونة من الفساد وعدم الدِّين، خرجت جنود الله - وللأرض منها وَئِيد[2] - قد ملأت السَّهل والجبل [والحَزْن][3]، في كثرة وقوَّة وعُدَّة وإيمان وصدق، قد بهرت العقول والألباب، محفوفة بملائكة الله الَّتي ما زال [الله][4] يمدُّ بها الأمَّة الحنيفيَّة[5] المخلصة لبارئها، فانهزم العدوُّ بين يديها[6]، ولم يقف

---

(١) ساقطة من «م».

(٢) الوَئِيد: شدَّة الوطء على الأرض، يسمع كالدويِّ منْ بُعد؛ ويقال: سمعت وأد قوائم الإبل ووئيدها. انظر: «لسان العرب» (مادة: وأد).

(٣) ساقطة من «م» و«ب»، والحَزْنُ ما غلُظَ من الأَرض، والجمع حُزُونٌ، وفيها حُزُونةٌ، وقد حَزُنَ المكانُ حُزونةً: جاؤوا به على بناء ضِدِّه، وهو قولهم: مكانٌ سَهْلٌ، وقد سَهُل سُهولة. انظر: «لسان العرب» (مادة: حزن).

(٤) ساقطة من «م».

(٥) في «الأصل»: الحنفية.

(٦) في «م»: أيديها.

لمقابلتها؛ ثمَّ أقبل العدوُّ [بجحافله في العام الثَّاني، فانتظره المسلمون ليقدم، فامتلأ قلبه رعبًا، وعذَّبه الله بأنواع العذاب، وأهلك][1] النُّفوس والخيل، وانصرف خاسئًا وهو حسير، وصدق الله وعده، ونصر عبده؛ وهو الآن في البلاء الشَّديد، والتَّعكيس العظيم، والبلاء الَّذي أحاط به؛ والإسلام في عزٍّ متزايد، وخير مترافد؛ فإنَّ النَّبي ﷺ قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لهذه الأُمَّةِ عَلَى[2] رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا[3]**»[4]، وهذا الدِّين في إقبال وتجديد.

---

(١) في «م»: ثانيا فأرسل عليه من العذاب ما أهلك...، وسقطت باقي العبارة.

(٢) في «م»: في.

(٣) في «م» و«ب» زيادة: [أمر] دينها؛ ولم تثبت هذه الزِّيادة في كتب الحديث، والله أعلم.

(٤) رواه أبو داود (٤٢٩١) عن أبي هريرة؛ وصحَّحه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحة» (٥٩٩).

وأنا ناصح للملك وأصحابه، والله الَّذي لا إله إلَّا هو، الَّذي أنزل التَّوراة والإنجيل والفرقان، ويعلم الملك أنَّ وفد نجران[1] ـ وكانوا نصارى كلّهم، فيهم الأسقف وغيره ـ لما قدموا على النَّبيِّ ﷺ، ودعاهم إلى الله ورسوله وإلى الإسلام: خاطبوه في أمر المسيح وناظروه، فلمَّا قامت عليهم الحجَّة، جعلوا يراوغون، فأمر الله نبيَّه أن يدعوهم إلى المباهلة كما قال [تعالى]: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١]، فلمَّا ذكر النَّبيُّ ﷺ ذلك [لهم][2] اشتوروا[3] بينهم فقالوا: تعلمون أنَّه

---

(١) في «م»: نحران بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٢) ساقطة من «م».

(٣) في «م»: استشوروا.

نبيٌّ، وأنَّه ما باهل أحد نبيًّا فأفلح؛ فأدُّوا إليه الجزية، ودخلوا في الذِّمَّة، وامتنعوا[1] من المباهلة[2].

وكذلك بعث النَّبيُّ ﷺ كتابه إلى قيصر[3]، [و][4] الَّذي

---

(١) في «م»: واستعفوا.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٩) عن جابر: «أنَّ وفد نجران أتوا النَّبيَّ ﷺ فقالوا: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فقال: **هُوَ رُوحُ الله، وَكَلِمَتُهُ، وَعَبْدُ الله، وَرَسُولُهُ**، قالوا له: هل لك أن نلاعنك أنَّه ليس كذلك؟ قال: **وَذَاكَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ**؟ قالوا: نعم، قال: **فَإِذَا شِئْتُمْ**، فجاء النَّبيُّ ﷺ وجمع ولده والحسن والحسين، فقال رئيسهم: لا تلاعنوا هذا الرَّجل، فو الله لئن لاعنتموه ليخسفنَّ أحد الفريقين، فجاؤوا فقالوا: يا أبا القاسم، إنَّما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا، وإنَّا نحبُّ أن تعفينا قال: **قَدْ أَعْفَيْتُكُمْ**، ثمَّ قال: **إِنَّ العَذَابَ قَدْ أَظَلَّ نَجْرَانَ**»، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه»؛ وأقرَّه الحافظ الذَّهبي.

(٣) هو لقب هرقل عظيم الرُّوم، وهرقل اسمه.

(٤) ساقطة من «م».

كان ملكَ النَّصارى بالشَّام والبحر إلى قسطنطينية وغيرها، وكان ملكًا فاضلًا، فلمَّا قرأ كتابه، وسأل عن علامته، عرف أنَّه النَّبيُّ الَّذي بشَّر به المسيحُ، وهو الَّذي كان الله وعد[1] به إبراهيم في ابنه إسماعيل، وجعل يدعو قومه النَّصارى إلى متابعته، وأكرم كتابه وقبَّله ووضعه على عينيه وقال: وددت أنِّي أخلص إليه حتَّى أغسل عن قدميه، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت[2] إليه[3].

وأمَّا النَّجاشي ملك الحبشة النَّصراني، فإنَّه لما بلغه خبر النَّبيِّ ﷺ من أصحابه الَّذين هاجروا إليه، آمن به، وصدَّقه، وبعث إليه ابنته[4] وأصحابه مهاجرين، وصلَّى النَّبيُّ ﷺ عليه

---

(١) في «م»: كان وعد الله.

(٢) في «الأصل»: لهذبت.

(٣) أخرجه البخاري (٧) في بدء الوحي في قصَّة مطوَّلة.

(٤) كذا في جميع النسخ، وهو تحريف، والصواب ما أثبته، وابنته هي رقيَّة زوج عثمان بن عفان رضي الله عنهما كما هو مشهور في كتب السيرة.

لما مات[1]؛ ولما سمع سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ بكى، ولمَّا أخبروه عمَّا يقوله[2] في المسيح قال: «والله ما يزيد عيسى على هذا مثل هذا العود»، وقال: «إنَّ هذا والَّذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»[3].

وكانت[4] سيرة النَّبيِّ ﷺ: أنَّ من آمن بالله وملائكته

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٨) ومسلم (٩٥١) عن أبي هريرة: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فيه خَرَجَ إلى المُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا».

(٢) في «م»: يقولون.

(٣) أخرجه أحمد (٣٧/ ١٧٠) عن أمِّ سلمة زوج النَّبيِّ ﷺ مطوَّلًا، وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزَّوائد» (٦/ ٢٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصَّحيح غير إسحاق، وقد صرَّح بالسَّماع؛ وصحَّحه الشَّيخ الألباني رحمه الله في «فقه السِّيرة» (ص١١٥).

(٤) في «الأصل»: فكان.

وكتبه ورسله من النَّصارى صار من أمَّته، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وكان له أجران[1]: أجر على إيمانه بالمسيح، وأجر على إيمانه بمحمَّد؛ ومن لم يؤمن به من [جميع][2] الأمم فإنَّ الله أمر بقتاله، كما قال في كتابه: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة: ٢٩]، فمن كان لا يؤمن بالله، بل يسبُّ الله

---

(١) أخرجه البخاري (٩٧) ومسلم (٤٠٤) عن أبي موسى أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ».

(٢) ساقطة من «م».

[ويشتمه][1]، ويقول: إنَّه ثالث ثلاثة، وأنَّه صُلب؛ ولا يؤمن برسله، بل يزعم أنَّ الَّذي حمل وولد، وكان يأكل ويشرب ويتغوَّط وينام: هو الله أو[2] ابن الله؛ أو[3] أنَّ الله أو ابنه حلَّ فيه أو[4] تدرَّعه، ويجحد ما جاء به محمَّد خاتم المرسلين، ويحرِّف نصوص التَّوراة والإنجيل؛ فإنَّ بين[5] الأناجيل الأربعة من التَّناقض والاختلاف [ما يبيِّن للعاقل ما وقع فيها][6]، ولا يدين [دينَ الله دينَ][7] الحقِّ ـ [ودينُ الحقِّ هو][8] الإقرار بما أمر الله به،

---

(١) ساقطة من «م».

(٢) في «م»: و.

(٣) في «م»: و.

(٤) في «م»: و.

(٥) في «م»: في.

(٦) في «م»: بين ما أمر الله به وأوجبه ما فيها.

(٧) ساقطة من «م».

(٨) في «الأصل»: وهو.

به، وأوجبه من عبادته وطاعته ـ، ولا يحرِّم ما حرَّم الله ورسوله من الدَّم والميتة و[لحم][1] الخنزير، الَّذي ما زال حرامًا من لدن آدم إلى محمد [ﷺ][2]، ما أباحه نبيٌّ قطّ، بل علماء النَّصارى يعلمون أنَّه محرَّم، وما يمنع بعضهم من إظهار ذلك إلَّا الرَّغبة والرَّهبة، وبعضهم يمنعه العناد والعادة و[3] نحو ذلك؛ ولا يؤمنون باليوم الآخر، لأنَّ[4] عامَّتهم، وإن كانوا يقرُّون بقيامة الأبدان، لكنَّهم لا يقرُّون بما أخبر الله به من الأكل والشُّرب واللِّباس والنِّكاح و[أصناف][5] النَّعيم، والعذاب في الجنَّة

---

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) زيادة من «م».

(٣) في «الأصل»: أو.

(٤) في «الأصل»: لا.

(٥) ساقطة من «م».

والنَّار، بل غاية ما يقرُّون به من النَّعيم السَّماع والشَّمِّ.

ومنهم متفلسفة، ينكرون معاد الأجسام[1]، وأكثر علمائهم زنادقة، فهم[2] يضمرون ذلك، ويسخرون بعوامِّهم، لا سيما بالنِّساء والمترهِّبين منهم: لضعف[3] العقول؛ فمن هذا حاله، فقد أمر الله [و][4] رسوله بجهاده حتَّى يدخل في دين الله أو يؤدِّي الجزية؛ فهذا[5] دين محمَّد ﷺ.

ثمَّ [إنَّ][6] المسيح ـ صلوات الله عليه ـ لم يأمر بجهاد، لا سيما[7]

---

(١) في «م»: الأجساد.

(٢) في «م»: وهم.

(٣) وكذا في «ب»، وفي «م»: بضعف.

(٤) ساقطة من «م».

(٥) في «م»: وهذا.

(٦) ساقطة من «م».

(٧) في «ب»: ولا سيما.

بجهاد الأمَّة الحنيفيَّة، ولا الحواريُّون بعده.

فيا أيُّها الملك! كيف تستحلُّ سفك الدِّماء، وسبي الحريم، وأخذ الأموال بغير حجَّة من الله ورسله؟!

ثمَّ أمَا يَعلم الملك أنَّ بديارنا من النَّصارى أهل الذِّمَّة والمماليك(١) ما لا يحصي عددهم(٢) إلَّا اللهُ، ومعاملتنا فيهم بالجميل(٣)؛ فكيف تعاملون(٤) أسرى المسلمين بهذه المعاملات الَّتي لا يرضى بها ذو مروءة ولا ذو دين؟!

لست أقول عن الملك وأهل بيته وإخوته(٥)؛ فإنَّ أبا

---

(١) في «م»: الأمان.

(٢) في «الأصل»: عدده.

(٣) في «م»: معروفة.

(٤) في «الأصل»: يعاملون.

(٥) في «م»: ولا إخوته؛ و«ب»: ولا إخوانه.

العبَّاس شاكرٌ للملك[1] ولأهل[2] بيته كثيرًا [كثيرًا][3]، معترفٌ[4] بما فعلوه معه من الجميل[5]؛ وإنَّما أقول عن عموم الرَّعيَّة.

أليس الأسرى في رعيَّة الملك؟! أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبرِّ والإحسان؟! فأين ذلك؟!

ثمَّ إنَّ كثيرًا منهم، إنَّما أخذوا غدرًا؛ والغدر حرام في جميع الملل والشَّرائع والسِّياسات، فكيف تستحلُّون أن تستولوا على من أُخِذَ غدرًا؟! [أ][6] فتأمنون مع هذا أن يقابلكم[7] المسلمون

---

(١) في «الأصل»: من الملك.

(٢) في «الأصل» و«ب»: وأهل.

(٣) ساقطة من «م».

(٤) وكذا في «ب»؛ وفي «م»: معترفًا.

(٥) في «م»: الخير.

(٦) زيادة من «م».

(٧) في «الأصل»: يقاتلكم.

ببعض هذا؟! ويكونون معذورين[1]، والله ناصرهم ومعينهم، لاسيما في هذه الأوقات، الأمَّة قد اجتهدت[2] للجهاد، واستعدَّت للجلاد، ورغب الصَّالحون وأولياء الله[3] في طاعته، وقد تولَّى الثُّغور السَّاحلية أمراء ذوو بأس شديد، وقد ظهر بعض أثرهم، وذكرهم[4] في ازدياد.

ثمَّ [إنَّ][5] عند المسلمين من الرِّجال الفداوية ـ الَّذين يغتالون الملوك في فرشها وعلى أفراسها ـ [مَنْ][6] قد بلغ الملك

---

(١) في «الأصل»: معذورون، وهو لحن، وفي «م»: وتكونون مغدورين، وفي «ب»: وتكونوا مغدورين.

(٢) في «م»: امتدت.

(٣) في «م»: الرَّحمن.

(٤) في «م»: وهم.

(٥) ساقطة من «م».

(٦) ساقطة من «الأصل».

خبرهم قديمًا وحديثًا، وفيهم الصَّالحون الَّذين لا يردُّ الله دعواتهم، ولا يخيب[1] طلباتهم، الَّذين يغضب الرَّبُّ لغضبهم، ويرضى لرضاهم.

وهؤلاء التَّتار ـ مع كثرتهم وانتسابهم إلى المسلمين ـ، لمَّا غضب عليهم المسلمون[2]، [وتوجَّهوا عليهم][3]، أحاط بهم من البلاء ما يعظم عن وصفه[4].

فكيف يحسن أيُّها الملك بقوم يجاورون[5] المسلمين من أكثر الجهات، أن يعاملوهم هذه المعاملة الَّتي لا يرضاها عاقل،

---

(١) في «الأصل»: لا تردُّ لهم دعوة، ولا تخيب طلباتهم، وأثبت ما في «م»؛ لأنَّه أنسب في السِّياق، ومراعاة للسَّجع.

(٢) في «م»: المسلمون عليهم، بالتَّقديم والتَّأخير.

(٣) ساقطة من «م».

(٤) في «م»: الوصف.

(٥) في «الأصل»: يجاوزن بالزَّاي المعجمة.

لا مسلم ولا معاهد؟!

هذا، وأنت تعلم أنَّ المسلمين لا ذنب لهم أصلًا، بل هم المحمودون على ما فعلوه؛ فإنَّ [الدِّين][1] الَّذي أطبقت العقلاء على الإقرار بفضله هو دينهم، حتَّى الفلاسفة أجمعوا على أنَّه لم يطرق العالم دين أفضل من هذا الدِّين، وقد[2] قامت البراهين تملي بوجوب[3] متابعته.

ثمَّ هذه البلاد ما زالت بأيديهم السَّاحل، بل [و][4] قبرص أيضًا ما أخذت منهم إلَّا من أقلِّ من ثلاثمائة سنة، [وإلَّا فقد فتحوها وداموا يحكمون فيها أكثر من ثلاثمائة سنة][5]، وقد

---

(١) ساقطة من «م».

(٢) في «م»: فقد.

(٣) في «م»: على وجوب.

(٤) زيادة من «م».

(٥) ساقطة من «م».

وعدهم النَّبيُّ ﷺ أنَّهم لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة[1].

فما يؤمِّن الملك أنَّ هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته، ينتقم لهم [ربُّ العالمين، و][2] ربُّ العباد والبلاد، كما ينتقم[3] لغيرهم؟! وما يؤمِّنه أن يأخذ المسلمين حميَّة إسلاميَّة ينالون فيها[4] ما نالوا من غيرها [وغيرها][5]؟!

ونحن إذا رأينا من الملك وأصحابه ما يصلح عاملناكم[6]

---

(١) حديث متواتر، ورد عن جمع من الصَّحابة، منهم: عمر بن الخطَّاب ومعاوية والمغيرة بن شعبة وجابر وثوبان وسعد بن أبي وقَّاص وعمران ابن الحصين وعقبة بن عامر وقرَّة المزني وأبو أمامة، وبعضها في «الصَّحيحين» كحديث معاوية والمغيرة، وانظر: «الصَّحيحة» (٢٧٠).

(٢) ساقطة من «م».

(٣) في «الأصل»: ينقم.

(٤) في «م»: تأخذ المسلمين حمية إسلامهم فينالوا منها...

(٥) ساقطة من «م».

(٦) في «م»: عاملناهم.

بالحسنى، وإلَّا فمن بُغِيَ عليه لينصرنَّه الله، وأنت تعلم أنَّ ذلك من أيسر الأمور على المسلمين.

وأنا ما غرضي السَّاعة إلا مخاطبتكم[1] بالَّتي هي أحسن[2]، والمعاونة على النَّظر في العلم، واتِّباع الحقِّ، وفعل ما يجب؛ فإنْ كان عند الملك[3] من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم وحقائق الأديان، ولا يرضى أن يكون من هؤلاء النَّصارى المقلِّدين الَّذين لا يسمعون ولا يعقلون، إنْ هم إلَّا كالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلًا.

وأصل ذلك، أن تستعين بالله، وتسأله الهداية، وتقول: اللَّهمَّ أرني الحقَّ حقًّا وأعنِّي على اتِّباعه، وأرني الباطل باطلًا،

---

(١) في «الأصل»: وما أنا غرضي السَّاعة مخاطبتكم.

(٢) في «الأصل»: بالحسنى، وصوِّبت في الهامش.

(٣) في «الأصل»: للملك.

وأعنِّي على اجتنابه، ولا تجعله مشتبهًا[1] عليَّ فأتَّبع الهوى [فأضلَّ][2].

وقل: اللَّهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السَّموات والأرض، عالم الغيب والشَّهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

والكتاب لا يحتمل البسط أكثر من هذا؛ لكن أنا ما أريد للملك إلَّا ما ينفعه في الآخرة والدُّنيا[3]، وهما شيئان:

أحدهما: له خاصَّة، وهو معرفته بالعلم والدِّين، وانكشاف الحقِّ، وزوال الشُّبهة، وعبادة الله كما أمر؛ فهذا خير له من ملك

---

(١) في «ب»: مستبهمًا.

(٢) ساقطة من «الأصل» و«ب».

(٣) في «م»: في الدُّنيا والآخرة.

الدُّنيا بحذافيرها، وهو الَّذي بعث به المسيح، وعَلِمَهُ الحواريُّون[1].

الثَّاني: له وللمسلمين[2]، وهو مساعدته على الأسرى[3] الَّذين في بلاده، وإحسانه إليهم، وأمر رعيَّته بالإحسان إليهم، والمعاونة لنا على خلاصهم؛ فإنَّ في الإساءة إليهم دركًا[4] على الملك في دينه ودين الله تعالى، [ودركًا من جهة المسلمين؛ وفي المعاونة على خلاصهم[5] حسنة له في دينه ودين الله تعالى][6]،

---

(١) في «م»: الحواريِّين، فيكون: علَّمه فعلًا متعدِّيًا، وفاعله المسيح.

(٢) في «الأصل»: وهو للمسلمين، وما ثبت في «م» أنسب للسِّياق، وهو قوله: وهو مساعدته... إلخ.

(٣) في «م»: للأسرى.

(٤) في «الأصل»: فإنَّ الإساءةَ إليهم دركٌ... ودرك. والدَّرَك: التَّبِعةُ ـ يسكَّن ويحرَّك ـ يقال: ما لَحِقك من دَرَكٍ فعليَّ خلاصُه. انظر: «لسان العرب» (مادة: درك).

(٥) في «الأصل»: الخلاص.

(٦) هذه العبارة ساقطة من «ب».

وعند المسلمين، وكان المسيح [من][1] أعظم النَّاس توصية بذلك.

ومن العجب كلَّ العجب أنْ يأسر النَّصارى[2] قومًا غدرًا أو غير غدر، ولم يقاتلوهم، والمسيح يقول: «من لطمك على خدِّك الأيمن فأدر [له][3] خدَّك الأيسر، ومن أخذ رداءك فأعطه قميصك»[4].

وكلَّما كثرت الأسرى عندكم، كان أعظمَ لغضب الله، وغضب عباده المؤمنين[5]؛ [وأنت تعلم إذا كنَّا نسعى في تخليص

---

(١) ساقطة من «م».

(٢) في «الأصل»: النَّصراني.

(٣) ساقطة من «الأصل».

(٤) انظر: «موسوعة الكتاب المقدَّس ـ إنجيل متى» (٤/ ١٤٣ [٥: ٣٩ ـ ٤٠])، «الإعلام بما في دين النَّصارى من الفساد والأوهام» لابن فرح القرطبي (٤٠٨).

(٥) في «م»: المسلمين.

أسرى النَّصارى من أيدي التَّتار، وهم أقرب إلى المسلمين][1]،
فكيف يمكن السُّكوت عن[2] أسرى المسلمين في قبرص؟!
[لا][3] سيما، وعامَّة هؤلاء الأسرى، قوم فقراء [و][4] ضعفاء،
ليس لهم منْ يسعى فيهم.

وهذا أبو العبَّاس، مع أنَّه من عُبَّاد المسلمين، وله عبادة
وفقر، وفيه مشيخة، ومع هذا، فما كاد يحصل [له][5] فداؤه إلَّا
بالشِّدَّة؛ ودين الإسلام يأمرنا أن نعين الفقير والضَّعيف،
فالملك أحقُّ أن يساعد على ذلك من وجوه كثيرة؛ لا سيما

---

(١) هذه العبارة كلُّها ساقطة من «م».

(٢) في «م»: على.

(٣) ساقطة من «م».

(٤) زيادة من «م».

(٥) زيادة من «م».

والمسيح يوصي بذلك في الإنجيل، ويأمر بالرَّحمة العامَّة، والخير الشَّامل كالشَّمس والمطر.

والملك وأصحابه إذا أعانونا[1] على تخليص الأسرى، والإحسان إليهم، كان الحظُّ الأوفر لهم في ذلك في الآخرة والدُّنيا[2]:

أمَّا في الآخرة فإنَّ الله يثيب على ذلك ويأجر عليه، وهذا ممَّا لا ريب فيه عند العلماء المسيحيِّين، الَّذين لا يتَّبعون الهوى، بل كلُّ من اتَّقى الله وأنصف، علم أنَّهم أُسِرُوا بغير حقٍّ، لا سيما من أُخِذ غدرًا، والله تعالى لم يأمر، ولا المسيح أمر، ولا أحد من الحواريِّين[3]، ولا من اتَّبع المسيح على دينه: لا بأَسْرِ أهل ملَّة

---

(١) في «م»: عاونونا؛ وفي «ب»: عاونوننا.

(٢) في «م»: في الدُّنيا والآخرة، بالتَّقديم والتَّأخير.

(٣) في «م»: لم يأمر المسيح ولا أحدًا من الحواريِّين، وفي «ب»: ... ولا أحد...

إبراهيم، ولا بقتلهم، فكيف[1]، وعامة النَّصارى يقرُّون بأنَّ محمَّدًا رسول الأميِّين؟! فكيف يجوز أن يقاتل أهل دين [الله الَّذين][2] اتَّبعوا رسولهم؟!

فإنْ قال قائل: هم قاتلونا أوَّل مرَّة.

قيل: هذا باطل فيمن غُدر[3] به، ومن بدأتموه بالقتال.

وأمَّا من بدأكم منهم فهو معذور؛ لأنَّ الله [تعالى] أمره بذلك ورسولَه[4]، بل المسيح والحواريُّون أُخذ عليهم المواثيق بذلك، ولا يستوي من عمل بطاعة الله ورسله، ودعا إلى عبادته ودينه، وأقرَّ بجميع الكتب والرُّسل، وقاتل لتكون كلمة

---

(١) في «م»: وكيف.

(٢) ساقطة من «م».

(٣) في «م»: غدرتم.

(٤) في «الأصل»: رسله.

الله هي العليا، وليكون الدِّين كلُّه لله؛ ومن قاتل في هوى نفسه، وطاعة شيطانه، على خلاف [أمر][1] الله ورسله.

وما زال في النَّصارى من الملوك والقسِّيسين والرُّهبان والعامَّة، من له مزيَّة على غيره في المعرفة والدِّين، فيعرف بعض الحقِّ، وينقاد لكثير[2] منه، ويعرف من قدر الإسلام وأهله ما يجهله غيره، فيعاملهم معاملة تكون نافعة له في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ في فِكَاك الأسير، وثواب العتق، من كلام الأنبياء والصِّدِّيقين ما هو معروف لمن طلبه[3]، فمهما عمل الملك معهم

---

(١) ساقطة من «الأصل» و«ب».

(٢) في «الأصل»: كثيرًا.

(٣) أمَّا فكاك الأسير فَلِمَا رواه البخاري (٢٨٨١) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فُكُّوا العَانِي ـ يعني الأَسِيرَ ـ وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ وَعُودُوا المَرِيضَ**».

=

وحد ثمرته.

[و][1] أمَّا في الدُّنيا فإنَّ المسلمين أقدر على المكافأة بالخير[2] والشَّرِّ من كلِّ أحد؛ ومن حاربوه، فالويل له كلّ الويل[3].

فالملك[4]، لا بدَّ أن يكون [قد][5] سمع السِّيَر، وبلغه أنَّه[6]

= وأمَّا عتق الرَّقبة ففيه أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري (٦٣٣٧) ومسلم (١٥٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ حَتَّى يُعْتِقَ فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**».

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) في «م»: في الخير.

(٣) في «م»: فالويل كلّ الويل له.

(٤) في «م»: والملك.

(٥) ساقطة من «م».

(٦) في «الأصل»: أن.

ما زال في المسلمين النَّفير[1]، القليل منهم يغلب[2] أضعافًا مضاعفة من النَّصارى وغيرهم؛ فكيف إذا كانوا أضعافهم؟! وقد بلغه الملاحم المشهورة في قديم الدَّهر وحديثه: مثل أربعين ألفًا، يغلبون من النَّصارى أكثر من أربعمائة ألف، أكثرهم فارس.

وما زال المرابطون بالثُّغور مع قلَّتهم، واشتغال ملوك الإسلام عنهم، يدخلون [إلى][3] بلاد النَّصارى؛ فكيف؟! وقد منَّ الله تعالى على المسلمين باجتماع كلمتهم، وكثرة جيوشهم، وبأس مقدّميهم، وعلوّ هممهم، ورغبتهم فيما يقرِّب إلى الله [تعالى]، واعتقادهم أنَّ الجهاد أفضل أعمالهم المتطوّعة[4]،

---

(١) في «م»: النّفر.

(٢) في «م»: من يغلب.

(٣) ساقطة من «م».

(٤) في «م»: الأعمال المطوعة.

وتصديقهم بما وعدهم نبيُّهم حيث قال: «يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَيُكْسَى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ بِاثْنَتَيْنِ[1] وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُوقَى فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَيُؤَمَّنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

---

(١) في «الأصل»: باثنين.

(٢) أخرجه أحمد (١٧/ ٢٤١) عن قيس الجذامي بنحوه، دون ذكر: «باثنتين وسبعين»، وإنَّما روي من حديث المقدام ابن معدي يكرب، أخرجه التِّرمذي (١٦٦٣)، وصحَّحه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح التِّرمذي»، والحديث قال فيه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزَّوائد» (٥/ ٥٣٣): رواه أحمد، وفيه عبد الرَّحمن بن ثابت بن ثوبان، وثَّقه أبو حاتم وجماعة، وضعَّفه جماعة، قال فيه الحافظ في «التَّقريب»: صدوق يخطئ، ورمي بالقَدَرِ، وتغيَّر بأخرة، لكن يشهد له حديث المقدام السَّابق؛ وله شاهد آخر عن عبادة بن الصَّامت، أخرجه أحمد (١٧/ ٦٦) والبزَّار (٢٦٩٦و٢٧١٥)، وصحَّحه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح التَّرغيب» (١٣٧٤).

ثمَّ [إنَّ][1] في بلادهم من النَّصارى أضعاف [من بقبرص من الأسرى، وهم أعزُّ عند النَّصارى من الأسرى الَّذي للمسلمين عند المسلمين][2]، فإنَّ فيهم من رؤوس النَّصارى من ليس في البحر مثلهم إلَّا قليل.

وأمَّا أسرى[3] المسلمين، فليس فيهم من يحتاج إليه المسلمون أو ينتفعون به[4]، وإنَّما نسعى في تخليصهم لأجل الله تعالى، رحمةً لهم، وتقرُّبًا إليه يوم يجزي الله المتصدِّقين[5]، ولا يضيع أجر المحسنين.

---

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) في «م»: ما عندكم من المسلمين.

(٣) في «م»: أسراء.

(٤) في «م»: ولا من ينتفعون به.

(٥) في «م»: المصدّقين.

وأبو العبَّاس، حامل هذا الكتاب، قد بثَّ محاسن الملك وإخوته عندنا، واستعطف قلوبنا عليه[1]، فلذلك كاتبت الملك لمَّا بلغتني[2] رغبته في الخير، وميله إلى العلم والدِّين؛ وأنا من نوَّاب المسيح وسائر الأنبياء في مناصحة الملك وأصحابه، وطلب الخير لهم؛ فإنَّ أمَّة محمَّد خير أمَّة أخرجت للنَّاس، يريدون للخلق خير الدُّنيا والآخرة، [و][3] يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويدعونهم إلى الله [تعالى]، ويعينونهم[4] على مصالح دينهم ودنياهم.

وإن كان الملك قد بلغه بعض الأخبار الَّتي فيها طعن على

---

(١) في «م»: إليه.

(٢) في «الأصل»: بلغني.

(٣) ساقطة من «م».

(٤) في «الأصل»: فيعينونهم.

بعضهم أو طعن في[1] دينهم، فإمَّا أن يكون المخبر كاذبًا، أو ما فهم النَّاقل كيف[2] صورة الحال، وإن كان صادقًا عن بعضهم بنوع من المعاصي أو الفواحش أو الظُّلم[3]، فهذا لا بدَّ منه في كلِّ أمَّة، بل الَّذي يوجد في المسلمين من الشَّرِّ أقلّ بكثير ممَّا يوجد في غيرهم[4]؛ والَّذي فيهم من الخير لا يوجد مثله في غيرهم.

والملك وكلُّ عاقل يعرف أنَّ أكثر النَّصارى خارجون عن وصايا المسيح والحواريِّين، ورسائل بطرس[5] وغيره من

---

(١) في «م»: على.

(٢) في «م» و«ب»: ما فهم التَّأويل وكيف، وضبطها محقّق نسخة «ب» فقال: وكيَّف ـ بالياء مشدّدة مفتوحة ـ على أنّه فعل.

(٣) في «م»: والفواحش والظُّلم.

(٤) في «م»: أقل ممَّا في غيرهم بكثير، بالتَّقديم والتَّأخير.

(٥) في «م»: بولص.

القدِّيسين ؛ وإن [كان][1] أكثر ما معهم من النَّصرانيَّة شرب الخمور[2]، وأكل الخنزير، وتعظيم الصَّليب، ونواميس مبتدعة، ما أنزل الله بها من سلطان[3]، وأنَّ بعضهم يستحلُّ بعض[4] ما حرَّمته الشَّريعة النَّصرانيَّة؛ [و][5] هذا فيما يقرُّون به.

وأمَّا مخالفتهم لما [لا][6] يقرُّون به، فكلُّهم داخل في ذلك، بل قد ثبت عندنا عن الصَّادق المصدوق رسول الله ﷺ: أنَّ المسيح عيسى ابن مريم ينزل عندنا بالمنارة البيضاء في دمشق

---

(١) ساقطة من «الأصل».

(٢) في «م»: الخمر.

(٣) في «الأصل»: سلطانًا.

(٤) في «الأصل»: من بعض.

(٥) ساقطة من «م».

(٦) ساقطة من «الأصل».

واضعًا يديه[1] على منكبي ملكين[2]، فيكسر الصَّليب، ويقتل

---

(١) في «ب»: يده، وهي رواية أحمد؛ وفي «م»: كفيه، وهي رواية مسلم.

(٢) هو طرف من حديث النَّوَّاس بن سمعان المطوَّل، ولفظه: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هَبطَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم عليه السلام بِشَرْقِيْ دِمَشْق عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، قال: وَلَا يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ ـ يعني أحدًا ـ إِلَّا مَاتَ، وَرِيحُ نفسِهِ مُنْتَهَى بَصَرِهِ، قال: فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكُهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ» أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، والتِّرمذي (٢٢٤٠) واللَّفظ له، وأحمد (١٧/ ١٩٦).

وقوله: «مهرودتين»، قال الإمام النَّووي في «شرح مسلم» (١٨/ ٦٧): روي بالدَّال المهملة والذَّال المعجمة والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدِّمين والمتأخِّرين من أهل اللُّغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع فى النُّسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه لابس مهروذتين أى ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران، وقيل: هما شقتان والشّقة نصف الملاءة.

الخنزير، ويضع الجزية، فلا[1] يقبل من أحد إلَّا الإسلام، ويقتل مسيح الضَّلالة الأعور الدَّجَّال الَّذي تتبعه[2] اليهود[3]، ويسلّط

= وقوله: «جمان»، قال النَّووي: ـ بضمِّ الجيم، وتخفيف الميم ـ هي حبَّات من الفضَّة، تصنع على هيئة اللُّؤلؤ الكبار. والمراد: يتحدَّر منه الماء على هيئة اللُّؤلؤ في صفاته؛ فسمَّى الماء جمانًا لشبهه به في الصَّفاء.

وقوله: «لدّ»، قال النَّووي: هو بضمِّ اللَّام وتشديد الدَّال مصروف وهو بلدة قريبة من بيت المقدس.

(١) في «م»: ولا.

(٢) في «م»: يتبعه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٢٤) عن أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ـ يَعْنِي عِيسَى ـ وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ». =

المسلمون على اليهود حتَّى يقول الشَّجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي [تَعَالَ][1] فاقتله[2]، وينتقم الله للمسيح ابن مريم

= وصحَّحه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح أبي داود»؛ وأصله في البخاري (٢١٠٩)، ومسلم (١٥٥)، بلفظ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الجِزْيَةَ وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

قوله: «مربوع»، قال النَّووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٢٦): قال أهل اللُّغة: هو الرَّجل بين الرّجلين في القامة، ليس بالطَّويل البائن، ولا بالقصير الحقير.

وقوله: «ممصّرتين»، قال في «النِّهاية» (٤/ ٧٢٢): المُمصَّرةُ من الثِّياب: الَّتي فيها صُفْرَةٌ خفيفةٌ.

(١) ساقطة من «م».

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٧) ومسلم (٢٩٢١) عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**تَقْتَتِلُونَ أَنْتُمْ وَيَهُودُ حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ**»، واللَّفظ لمسلم؛ وله شاهد عن أبي هريرة، أخرجه أيضًا البخاري (٢٧٦٨) ومسلم (٢٩٢٢).

مسيح الهدى من اليهود لما[1] آذوه وكذَّبوه لما بُعث إليهم.

وأمَّا ما عندنا في أمر النَّصارى، وما يفعل الله [بهم][2]، من إدالة المسلمين عليهم، وتسليطه عليهم، فهذا ممَّا [لا][3] أخبر به الملك؛ لئلَّا أضيِّق[4] صدره؛ [و][5] لكن الَّذي أنصحه به: أنَّ كلَّ من أسلف إلى المسلمين خيرًا أو[6] مال إليهم كانت عاقبته معهم حسنة، بحسب ما فعله من الخير، فإنَّ الله يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

---

(١) في «م»: ما.

(٢) ساقطة من «الأصل».

(٣) ساقطة من «الأصل».

(٤) في «م»: يضيق.

(٥) ساقطة من «الأصل».

(٦) في «م»: و.



والَّذي أختم به الكتاب: الوصيَّة[1] بالشَّيخ أبي العبَّاس، وبغيره من الأسرى، والمساعدة لهم، والرِّفق[2] بمن عندهم من أهل القرآن، والامتناع عن[3] تغيير دين أحد[4]، وسوف[5] يرى الملك عاقبة ذلك كلّه، ونحن نجزي الملك على ذلك أضعاف[6] ما في نفسه، والله يعلم أنِّي قاصد للملك الخير [كلَّه][7]؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بذلك، وشرع لنا أن نريد الخير لكلِّ أحد، ونعطف على خلق الله، وندعوهم إلى الله وإلى دينه، وندفع عنهم شياطين

---

(١) في «الأصل»: بالوصية.

(٢) في «الأصل»: بالرفق.

(٣) في «م»: من.

(٤) في «م»: واحد منهم.

(٥) في «الأصل»: وسوق.

(٦) في «م»: بأضعاف.

(٧) ساقطة من «م».



الإنس والجنِّ، والله [هو](1) المسئول أن يعين الملك على مصلحته الَّتي هي عند الله المصلحة، وأن يخيّر له من الأقوال ما هو خير له عند الله، ويختم له بخاتمة خير.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على أنبيائه المرسلين، [و](2) لا سيما محمَّد خاتم [النَّبيِّين و](3) المرسلين والسَّلام عليهم أجمعين.

نجزت الوصيَّة المباركة يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، أحسن الله خاتمتها بظاهر دمشق المحروسة حماها الله وسائر بلاد المسلمين. آمين يا ربَّ العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللَّهمَّ اغفر لصاحبه وكاتبه ولجميع المسلمين.



---

(١) ساقطة من «م».

(٢) ساقطة من «الأصل»، وتكرَّر فيه.

(٣) ساقطة من «الأصل».

كتاب

شيخ الإسلام ابن تيمية

إلى سرجوان ملك النصارى

الشهيرة بـ«الرسالة القبرصية»

اعتنى بنشرها والتعليق عليها

الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن عبد المجيد جمعة

الأستاذ بالجامعة الإسلامية قسنطينة

دار نور الكتاب

مكتبة الحافظ الذهبي